

العا برون في حيا تنا



أن نتذكر الذين نجبهم وفارقناهم، فليس في ذلك ما يثير، بل من الواجب أن نتذكرهم في المناسبات التي تشير إليهم، وأن تذكر الأصدقاء القدامى، والجيران القدامى، وأصدقاء الدراسة في مراحلها الأولى، أو دهاليز الفريج والمنطقة، وكما يسميها البعض الحي والضيعة. وتختلف الذاكرة بما تحمله من مشاعر حول كل من نتذكرهم. فهناك ذاكرة تُحزننا، وأخرى تُفرجنا، وأخرى تقتحمنا بتفاصيلها المملة أو الممتعة. وكل هؤلاء تذكُّرهم واجب ونُكرانهم هو المُستغَرَّب.

أما الروعة والمتعة فهما تذكر العابرين في حياتنا. وهنا يجب أن نبحث عن السر في ذلك، على الرغم من علمنا أن هؤلاء حين داهمونا أوّل مرة، كأنهم قالوا لنا: نحن عابرون في حياتكم، فليس عليكم أي التزام تجاهنا، فلن نحزن إن لم نتذكرونا.

أن تتذكر امرأة رأيتها في أحد المطارات مصادفة، وتذكر إبتسامتها التي وهبتك الفرحة مصادفة، فنسيت تعب السفر والانتظار، وأناقتها التي استوقفت ذوقك مصادفة، ومن دون أن تشعر بك ومن دون أن تسمع منك، وتغادر وحدك المكان الذي عباّته بالمصادفات، وعلى الرغم من ذلك تتذكر تلك العابرة في كل مرور لك بأي مطار، وعند ذكر كلمة السفر أمامك أحياناً..

أن تتذكر شخصاً عابراً إلتقيته أيام الدراسة، ولا تعرف اسمه، وملاحه حاصرها الضباب، فلم تعد تميز وجهه إنّ التقيته، ولا تميز صوته الذي قال لك حين التقيته: "أأنت فلان؟"، وعلى الرغم من أنك فلان الذي يعنيه، إلا أنك قلت له مازحاً: "كلا"، فانصرف عنك. وتذكره في هذه اللحظة وتتمنى أن تلتقيه ليقول لك: "أأنت فلان؟" حتى تقوم له "نعم"، وتذكره على الرغم من أنّه كان عابراً، وعلى الرغم من أن "كلا" و"نعم" متساويتان في ذلك اللقاء العابر، في ذلك الصباح الجامعي.

أن تتذكر شخصاً إلتقاك مصادفة وأخذك بالأحضان، وأخذته بالأحضان وبالسلم على الأهل والأصدقاء، وبالإبتسامات المتقطعة والضحكات العالية، وبعد دقائق تكتشف أنك لا تعرفه، فقد شبه لك، ويكتشف أنه لا يعرفك، فقد شبه لك، فتبادلان الاعتذارات والضحكات الخجلى والابتسامات الباردة، وتفترقان على أمل ألا تلتقيا ثانية. وعلى الرغم من تلك المسافة بينكما، تتذكره وتذكر تلك الحادثة المبللة بالخجل.

أن تتذكر صورة طفل رأيته في مجلة ذات يوم، ولم يكن لديك أطفال، وتمنيت أن يكون لك طفل مثله، لتضع صورته في المجلة. ويأتيك الطفل الذي تحبه، ويأتي الثاني الذي تحبه، ومازالت المجلة في انتظار صورة طفلك الأول أو الثاني أو الثالث، ولكنك لا تفعل ذلك، وتتذكر ذلك الطفل وضحكته في المجلة، وتتمنى أن ترسل الصورة، ولكن صورة طفلك لا تصل إلى المجلة، ومازلت تتذكر ذلك الطفل العابر.

العابرون في حياتنا ليسوا هامشين. إننا نتذكرهم كلما سمحت الذاكرة بذلك، وكلما افتحوا ذاكرتنا بلا استئذان، فيدخلون بشكل لطيف معطرين بالدهشة. نتذكرهم على الرغم من مرورهم السريع في حياتنا. فلا تحزن إذا كنت عابر في حياة الآخرين، فربما يتذكرونك، ولا تزدي العابرين، فربما يقتحم أحدهم ذاكرتك ليستوقفك، أكثر مما استوقفك حين كان عابراً في حياتك.

شعر

لمستُ الصمتَ فأنفردتُ يدي بالأحرف الكبرى فكان حديثها صخباً ينزُّ بهمسة البشرى يدي صوتُ يدي قلمُ يدي بجنونها سكرى **** لمست الخوف فأنفردت مخاوف صدري المثلث بهجر حبيبةٍ وبما يراود بالوغى أعزلُ كأنني رأسُ سنبلةٍ ترى في نومها المنجل